Al-Quntar Journal for Humanitarian and Applied Studies
Philosophy and Foresight Science Series

نظم الجيش الأغلبي ودوره في استقرار الدولة وتوسعها (184-296هـ)

الباحث محمد مامي الباحث عماد رقاد

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

التحصينات العسكرية في الجيش الأغلبي

تاريخ الارسال 2025/8/29 تاريخ القبول 2025/9/19 تاريخ النشر 2025/9/30

الملخص: تناولت هذه الدراسة بالبحث والتحليل منظومة الاستحكامات العسكرية في بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، بهدف إبراز أنواعها، وخصائصها المعمارية، وأدوارها الدفاعية والاستراتيجية. واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء وتفسير المصادر التاريخية والجغرافية الأولية، ومقارنتها بالدراسات الأكاديمية الحديثة. استهلت الدراسة بتعريف المفاهيم الأساسية للاستحكامات العسكرية كالأسوار والحصون، ثم تعمقت في دراسة "الرباطات" كنموذج معماري دفاعي فريد، مع التركيز بشكل خاص على الرباطات البحرية ودورها المحوري في حماية السواحل من الهجمات الخارجية. وقد شمل البحث تحليل نماذج تطبيقية لعدد من المدن الساحلية والداخلية البارزة مثل سوسة، والمنستير، وسفاقس، وتاهرت، مستعرضةً مواد بنائها، ووظائفها الدفاعية والاجتماعية والدينية. وخلصت الدراسة إلى إبراز الأهمية الاستراتيجية لهذه المنشآت ليس فقط كبنى عسكرية، بل كعناصر حضارية عكست قوة الدول المتعاقبة كالأغالبة والرستميين، وأسهمت في تشكيل النسيج العمراني والدفاعي للمنطقة.

الكلمات المفتاحية:

الاستحكامات العسكرية، الحصون، الرباطات، المغرب الإسلامي، العصر الوسيط، العمارة الدفاعية، سوسة، المنستير، الأغالبة.

Abstract: This study addressed the system of military fortifications in the Islamic Maghreb during the medieval period, aiming to highlight their types, architectural characteristics, and defensive and strategic roles. The study employed a descriptive-analytical methodology, interpreting primary historical and geographical sources and comparing them with modern academic research. It began by defining fundamental concepts of military fortifications such as walls and forts, then delved into the study of "Ribats" as a unique defensive architectural model, with a special focus on maritime Ribats and their pivotal role in protecting the coasts from external attacks. The research included an analysis of practical models from several prominent coastal and inland cities like Sousse, Monastir, Sfax, and Tahert, examining their construction materials and their defensive, social, and religious functions. The study concluded by emphasizing the strategic importance of these installations not only as military structures but also as civilizational elements that reflected the power of successive states like the Aghlabids and Rustamids, and contributed to shaping the region's urban and defensive fabric.

Keywords:

Military Fortifications, Forts, Ribats, The Islamic Maghreb, The Medieval Period, Defensive Architecture, Sousse, Monastir, Aghlabids.

المقدمة:

إن فكرة تحصين المدن فكرة قديمة، عكست نشأة المدينة أهمية التحصين لحامية وجودها و تنمية عمرانها، وهو هاجس السلطة التي تحرص قبل كل شيء على كيان الدولة والأجهزة الحاكمة. وكانت تقاس حضارة المدن في الماضي بقدرتها على إتقان التحصينات المختلفة، ويبدأ تحصين المدينة باختيار الموقع الذي اشترط فيه المفكرون المسلمين أن يكون حصينا بطبيعته، كأن يكون على هضبة متوعرة من الجبل أو باستدارة بحر أو نهر حتى لا يصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة[1] .

فالتحصينات حسب ابن منظور لغة، هي كل مكان منيع لا يوصل إلى ما في جوفه أي احتضنت القرية إذا بنيت حولها، وحصنت المرأة حصنها إذا عفت عن الزنا وقيل العرب حصنوها وقد سميت العرب حصنا[2].

أما اصطلاحا، فهي عبارة عن مجموعة من المنشآت والموانع والستائر تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجومات المعادية[3]، وهناك نوعان من التحصينات: أولا التحصينات الدائمة أو الثابتة وغالبا ما تبنى في وقت السلم وتتمثل في الأسوار والمداخل والأبراج والخنادق.- ثانيا التحصينات الميدانية التي تقام حين يكون هناك اشتباك مع العدو أو حين يكون هناك اشتباك قريب، وهناك سببان رئيسيان لإقامات التحصينات هما:

1- الاستفادة من قوة الوحدة في الموقع المحصن.
2- منع العدو من الاستفادة من إمكاناته لإحراز أي تفوق[4].

ويكون الحصن على نوعين إما متصل على هيئة برج أو سور في قلعة أو مدينة أو قصر أو منفصلا بحيث يكون عبارة عن بقايا الثغور والمواقع الاستراتيجية وطرق القوافل[5].

وقد اهتم الأغالبة بالتحصينات العسكرية، فشيدوا الكثير من الأسوار والأبراج والمدن وخاصة ما وقع على ساحل المدن[6]، ومن نماذج هذه التحصينات أو المنشآت العسكرية:

[1] - محمد عياش: الاستحكامات العسكرية من خلال مدينتي فاس الجديد، والمنصورة بتلمسان، رسالة ماجستير، إشراف: صالح بن قربة، معهد الأثار، جامعة الجزائر، 2005-2006م، ص ص 24- 25.

[2] - ابن منظور: لسان العرب، مج13، ص119.

[3] - الهيثم مقدم الأيوبي: الموسوعة العسكرية " موضوع التحصينات" ، ج1، ط1، مطبعة المتوسط، بيروت، 1977م، ص 256.

[4] - مقدم الأيوبي: المرجع السابق، ص257.

[5] - ابراهيم زكي خو رشيد والأخرون: دار المعارف الإسلامية – الحصن -، ط1، مركز الشارقة، ص ص 398- 399.

[6] - حسين حمودة: المرجع السابق، ص 318.

الرباطات*:

والتي هي شبيهة بالقصور وتخصص للمجاهدين والمرابطين الذين خرجوا للجهاد في سبيل الله[7].

ومن وظائف هذه الرباطات البحرية فكانت بالدرجة الأولى عسكرية – جهادية، محاولة منها دفع الخطر على سكان المدن الساحلية والمنشئات المدنية، وقد خضعت إلى إدارة محكمة وتنظيم مضبوط تحت إشراف ديوان الجند في عهد الأغالبة[8].

يشير اليعقوبي إلى هذه التحصينات العسكرية بقوله: **"من سفاقس إلى موقع يقال له بنزرت مسيرة ثمانية أيام وفي جميع المراحل حصون متقاربة ينزلها العباد والمر ابطين"[9].**

يذكر الطالبي أن إبراهيم بن الأغلب لما اعتلى عرش وحكم إفريقية سنة (184هـ/800م) عمل على تطوير مؤسسة الرباط، خاصة أنه كان قريب جدا من أوساط فقهاء المالكية، وكان أشد المدافعين عن المرابطة[10].

يذكر ابن خلدون أن الأمير الأغلبي "أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم" كان مهتما ومولعا بالعمارة، فقد بنى بإفريقية حسبه نحوا من عشرة ألاف حصن بالحجارة والكلس وأبواب الحديد[11]، لكن هذه الرواية ربما مبالغ فيها، رغم أن النص على أي حال يكشف لنا اهتمام هذا الأمير بتحصين البلاد، وقد يكون المقصود ببناء هذه الحصون ترميم سلسلة التحصينات البيزنطية على ساحل البحر المتوسط[12].

فكان إبراهيم بن أحمد أخو أبي الغرانيق أيضا قد اهتم ببناء الحصون والمحارس بسواحل البحر حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة* للنذير بالعدو فيصل ايقادها للإسكندرية في الليلة الواحدة[13]. أي أنَ ثغور المسلمين من الإسكندرية إلى سبتة محمية بسلسلة من الرباطات و المحارس والقلاع الكثيرة.

---

*- **الرباطات:** مفرد الرَباط وهو اسم مشتق من الجذر " ر.ب.ط"، ويتضمن مفهوم الملازم في المكان و الثبات فيه. و مصطلح الرَباط يعني المواظبة على لزوم الثغر، أنظر: ابن المنظور: المصدر السابق، مج7، ص ص 302- 303.

[7] - حسين حمودة: المرجع السابق، ص 318.

[8] - حميدي مليكة : "الرباطات البحرية ودورها في الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي ما بين القرنين (1-4هـ/7-10م)"، مجلة دراسات تراثية، ج2، ع5، معهد الآثار، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر، 2014م، ص75.

[9] - اليعقوبي: البلدان، ص140.

[10] - الطالبي : المرجع السابق، ص ص147-148.

[11] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 256.

[12] - السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الإسلامي (دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية)، ج2، دط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص 448.

*- **سبتة:** مدينة التي تقع على ضفة البحر الرومي وهو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وهي في طرف من الأرض داخل من الغرب إلى الشرق ضيق جدا والبحر محيط بها شرقا وشمالا وقبلة، وهي مدينة كبيرة مسورة بسور ضخم بناه عبد الرحمان الناصر لدين الله، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 168.

[13] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 259.

من المعلوم أن وسائل الدفاع في العصور الوسطى تعتمد على أهمية الأبراج ومتانة الأسوار وكثرة المعاقل، وهي ظاهرة دفاعية تدخل ضمن الخطط والهندسة والعمارة الحربية[14].

إن الدافع من تأسيس هذه الرباطات في عهد الأغالبة هو الخوف من غارات الروم على سواحل إفريقية من جهة والاستعداد الدائم للجهاد ضد البيزنطيين في صقلية[15].

من جهة أخرى يعتبر حافزا على عانية الأغالبة بتحصين السواحل، وهذا تحسبا لأي هجوم عدواني على مدن الثغور على سواحل المغرب الإسلامي، وضد أي فتن واضطرابات داخلية[16]، وذلك امتثالا **لقول الله تعالى:** " فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ " [17] .
كانت أبواب الأربطة تغلق كامل الليل ولا تفتح حتى طلوع الشمس. وعند الضرورة، يصعد الرجل القادم إلى الحصن بالجبال، ولكن في حالة الحرب مثلا، يجب أن ينفر من في صفاقس لغوث سوسة إن لم يخف على أهله بعد رؤية سفن أو خبَر عنها[18].

وقد حرص الأمراء الاغالبة على حماية ممتلكات المسلمين التي تدخل تحت حكمهم، فعملوا على صيانة البلاد وذلك بأن أدخلوا بعض التحسينات على الحصون البيزنطية،

وخاصة في بلزمة وباغية[19]*، ومن أهم ما قام به الأغالبة من نشاط معماري لبناء الرباطات لتحصين السواحل في إفريقية من غارات الروم وغيرها من الوظائف والدوافع التي تطرقنا إليها سابقا:

- رباط سوسة:

تعتبر مدينة سوسة بمثابة رباطا، وكانت مثل باقي الحصون أي كانت تغلق أبوابها ليلا ولا تفتحها حتى الصباح، وأرضها ككل الرباطات، تعتبر أحباسا لا يمكن بيعها[20]، ثم اقتصر اسم هذا الرباط على قصر الرباط أو بمحرس الرباط كما ينقله لنا ياقوت الحموي:" **داخل هذه المدينة محرس عظيم مسور بسور متقن يسمى بمحرس الرباط، حيث يأوي ويسكن فيه الصالحون والعباد"**[21].

---

[14] - G. Marçais : L'acchicture musulmane d'occident (Tunisie, Algérie, Espagne, Sicile), éditeur arts graphique, paris, 1954, p 156.

[15] - محمد سويسي: أنماط العمران البشري بإفريقية وجزيرة المغرب حتى العهد الحفصي، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 128.

[16] - فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص82.

[17] - سورة آل عمران، الآية 20.

[18] - عبد الكريم الشَلبي: الأربطة والمرابطة بإفريقية من خلال نوازل المالكية (ق8- 10م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، ص11.

[19] - شارل أندري جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية، ج2، ط2، ترج: محمد مزالي والبشرين سلامه، الدار التونسية للنشر، تونس، د.س، ص 66.

*- **باغية:** مدينة جليلة أولية، ذات أنهار وثمار، ومزارع ومسارح، وعلى مقربة منها جبل أوراس، وهو متصل بالسوس، أنظر: الحسين بن محمد الورثلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ، مج1، ط1 تع: ابن مهنا القسطني، دار المعرفة الدولية، الجزائر، 2011م، ص 216.

[20] - ناجي جلول : الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، د.ط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1999م، ص ص 69-71.

[21] - الحموي: المصدر السابق، ص 283.

كان رباط سوسة* قريب الشبه برباط المنستير، وهو أقدم وأجمل منه من ناحية الهندسية، وقد اتسع هذا الرباط حتى أصبح على شكل حصن كثير المساكن، ويتولى شيخ من أهل التقوى والورع والصلاح تنظيم وتسيير العبادة أو الحراسة في هذا الرباط[22].

قد أشار إليه البكري[23] أيضا حينما قال: **" وخارج مدينة سوسة* محارس ورو ابط ومجامع للصالحين، وداخلها محرس عظيم كالمدينة مسور بسور متقن يعرف بمحرس الرباط، داخله حصن ثان يسمى القصبة، وهو بجوفي المدينة متصل بدار الصناعة بسفح الجبل الذي هي في سنده شرقي وأعلى المدينة غربي.... ووراء سورها هناك هيكل عظيم يسميه البحريون الفنطاس*، ولهذا الهيكل أربعة أدراج يصعد من كل واحد منها إلى أعلاه وهو هيكل واسع بين بابه".**

يعتبر هذا الرباط من أهم وأكبر الحصون التي أقيمت في عصر دولة الأغالبة للعباد والمجاهدين في سوسة[24]، وقد شيد هذا الرباط من طرف "زيادة الله بن الأغلب" سنة (206هـ/821م)[25].

لقد بني قبل انشاء أسوار المدينة بحوالي 39 سنة[26]، وقد وجدت لوحة رخامية مسجلة فيها تاريخ الإنشاء بمدخل المنارة، الذي نقرأ عليها النص التالي: **"مما أمر به الأمير زياد الله بن إبراهيم أطال الله بقاءه- على يد مسرور خادم مولاه في سنة ست ومائتين اللهم أنزل منزلا مباركا و أنت خير المنزلين"[27].**

يوجد في هذا الرباط سور على شكل مربع طول ضلعه تقريبا حوالي 40 مترا، ومزودا عند أركانه ومنتصف أسواره بأبراج معظمها نصف أسطواني وعددها ثمانية[28]، وأما مدخل الرباط فبارز يتوسط الواجهة القبلية، ويصل المرء إلى داخل الرباط عن طريق درج هابط[29].

---

*- **أنظر: ملحق رقم (4)، يمثل رباط سوسة، ص 134.**

[22] - ابن وردان: المصدر السابق، ص 40؛ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص .110

[23] - البكري : المصدر السابق، ص 119.

*- **سوسة:** مدينة قريبة من القيروان حوالي ستة وثلاثون ميلا، قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وبها ثمانية أبواب أحدها باب كبير جدا شرقي يعرف بباب دار الصناعة منها تدخل المراكب وتخرج، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 117-118.

*- **الفنطاس:** الفنطيس من أسماء الذكر، وفنطاس السفينة: حوضها الذي يجتمع فيه نشاف الماء، وجمع الفناطيس، وفنطيسة الخنزير: خطمه، وهي الفرطيسة وأنف فنطاس: عريض، أنظر، ابن منظور: لسان العرب، ج6، ص167.

[24] - فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 86.

[25] - محمد حسن العيدروس: المغرب العربي في العصر الإسلامي، دار الكتاب الحديث، القاهرة،2008م، ص 498؛ عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص ص 449-450؛ فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 87.

[26] - عبد العزيز سالم : المرجع السابق، ص 450.

[27] - فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 87؛ عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص449-450.

[28] - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص 450.

[29] - فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 88.

قد أصبح هذا الرباط بعد سنوات قليلة له شأن كبير كقاعدة لأكبر عملية فتح بحري قام بها المسلمين ضد الروم في صقلية[30].

- رباط المنستير*:

يعتبر هذا الرباط قصرا يرابط فيه المسلمون لحماية ثغور إفريقية من الغارات البحرية التي كان يقوم بها البيزنطيين على سواحل بلاد المغرب[31]، وقد تم بنائه من طرف والي إفريقية هرثمة بن الأعين وهذا من اعاز من طرف الخليفة العباسي هارون الرشيد في سنة (180هـ/796م)[32].

عرف هذا الرباط* أوج نشاطه أثناء حكم الإمارة الأغلبية، إذ اهتم أمراؤها اهتماما بليغا، حيث يذكر لنا البكري وصفا لهذا الرباط فقال: **" ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير الذي جاء فيه الأثر المتقدم الذكر، ويذكر أن الذي بنى القصر الكبير بالمنستير هو هرثمة بن الأعين... وبالمنستير البيوت والحجر والطواحن الفارسية ومواجل الماء، وهو حصن عالي البناء متقن العمل... و قال محمد بن يوسف: وهو قصر كبير عال داخله ربض واسع وفي الوسط الربض حصن ثان كبير..."**[33]، ومن هذا الوصف يتضح لنا أن هذا الرباط قد أجريت عليه بعض التعديلات، والمرجع أن تكون في عهد الإمارة الأغلبية، الذين اعتنوا بتحصين السواحل[34].

وكان في هذا الرباط سورا محاطا بأبراج مستديرة أو كثيرة الأضلاع، ويحيط بالصحن الفسيح من جهاته الثلاثة طبقان أو ثلاثة من الغرف، ويرتفع في الركن الجنوبي الشرقي برج اسطواني الشكل[35].

يشغل الجانب القبلي بالطابقين الأدنى والأعلى مسجدان، الأدنى منها بسيط التخطيط وأما العلويُ فيشتمل على تسع بلاطات، وكان يحتوي أيضا على مدفن بين السور وجدار المحراب[36].

يذكر ابن حوقل المرابطين الذين كانوا يتوافدون على هذا الرباط من أجل العبادة والجهاد في سبيل الله فيقول: **" يسكنه أمة من الناس على مر الأيام و الساعات، ويقصده أهل إفريقية لوقت من السنة فيقيمون به أياما معلومة..."**[37].

---

[30] - الحميري: المصدر السابق، ص 331؛ فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 86.

*- **المنستير:** هو موضع أو ميناء بين المهدية و سوسة بإفريقية، أنظر: الحموي: المصدر السابق، مج5، ص 209.

[31] - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 452.

[32] - ابن عذاري : المصدر السابق، ج1، ص 110؛ ابن الأثير: المصدر السابق،ج5، ص 300؛ ابن الخطيب: المصدر السابق، ج3، ص11.

*- **أنظر: ملحق رقم (5)، يمثل رباط المنستير، ص 135.**

[33] - البكري : المصدر السابق، ص ص 119-120.

[34] - عبد العزيز سالم : المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص 452.

[35] - المرجع نفسه، ص 453.

[36] - فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص ص90-91.

[37] - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 75.

قد ضم الرباط – المنستير- عبادا من المشرق من العراق والشام منهم أبو الجعفر أحمد الكوفي الذي عاصر مؤسسه وموسى بن عيسى الصمادحي[38]، ومن المغرب الإسلامي أشهرهم أبو جعفر حمديس بن عمر القطان الذي يذكر عنه أنه كان يكره فعل الذين يتجمعون للميعاد ويضربون صدورهم، فقال: **" لو كان لي في الأمر شيء لنفيتهم من المنستير"**[39].

يعتبر كل من رباط سوسة و رباط المنستير من أشهر الرباطات في إفريقية في عهد الأغالبة، لكن هناك أربطة أخرى على شريطها الساحلي نذكر منها:

- رباطات جزيرة شريك*:

التي تعتبر من أهم مراكز المرابطة في العصر الوسيط، إذ أن معظم القصور المحصنة و الرباطات في هذه المنطقة يعود إنشاؤها في أغلب الأحيان إلى العصر الأغلبي[40].

وقد لعبت رباطات هذه الجزيرة دورا مهما في المجال السياسي والاقتصادي أثناء حكم الأغالبة فعلى سبيل المثال، أن المرابطين فيها وعبادها كانوا أول من ناهض وكان ضد الضريبة النقدية الجديدة المقدرة بحوالي ثمانية دنانير على كل زوج تحرث، والتي أحدثها الأمير الأغلبي عبد الله بن إبراهيم، ويبدو أنها شملت أحمية الحصون التي كان يستغلها هؤلاء المرابطين مما أثار حميتهم[41].

- رباط قصر الطوب:

الذي يوجد على بعد حوالي 5 كلم جنوب سوسة، ويعود الفضل في تشيده إلى الأمير الأغلبي أبي العباس محمد بن الأغلب، بعدما أن أعطى الأمر إلى خادمه خلف الفتى أن يبنيه، المنسوب إليه منار القصبة سنة (240هـ/854م).

و من أهم الوظائف هذا الرباط مراقبة الطريق الرابط بين سوسة وجنوب الساحل، إضافة إلى حراسة قرية الساحلين* وملاحتها[42].

وعليه يمكن تقسيم تطور الأربطة بإفريقية في عصر الأغالبة إلى ثلاث مراحل:

---

[38] - حميدي مليكة : المرجع السابق، ص 89.

[39] - المالكي: المصدر السابق، ص 488.

*- **جزيرة شريك:** التي تنسب إلى شريك العبسي الذي كان عاملا عليها، وأمَ إقليم جزيرة شريك منزل باشو، وهي مدينة كبيرة أهلة بها جامع وحمامات وثلاث رحاب وأسواق عامرة وبها قصر أحمد بن عيسى القائم على ابن الأغلب، وبهذه الجزيرة اجتمعت الروم بعد دخول عبد الله بن أبي سرح، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 129.

[40] - ناجي جلول : المرجع السابق، ص 50.

[41] - المرجع نفسه، ص 51.

*- **قرية الساحلين:** هي من القرى القريبة من قصر الطوب، وكان يطرقها الروم بقصد نهبها وقتل أهلها لقربها من الساحل وخلوها من سور يحميها، أنظر: البكري: المصدر السابق، ص 120.

[42] - محمد حسن : الجغرافية التاريخية لإفريقية (من القرن الأول إلى القرن التاسع الهجري)، دط، دار الكتاب الجديد، ليبيا، 2003م، ص 149.

- في مرحلة الأولى كان استخدم المسلمون التحصينات البيزنطية أثناء الفتح الإسلامي واعادوا توظيفها للحراسة والرباط.

- في المرحلة الثانية: وهي المرحلة المهمة لتطور الرباط، حيث ظهرت البصمة العربية الإسلامية فأنشأ المسلمين أربطة خاصة بهم، أشهرها رباط سوسة والمنستير اللذان تكلمنا عنهما سابقا.

- أما في المرحلة الثالثة: اتسمت بتكثيف بناء التحصينات الساحلية، بإنشاء أربطة أخرى أهمها رباط ابن جعد ورباط لمطة وغيرها.

الأسـوار:

الأسوار هي نوع من التحصينات الدفاعية، يلي الخندق، يأخذ شكل حاجز ترابي أو خشبي أو حجري يحيط بالمدينة أو القلعة أو يمتد على حدود دولة. وتعتبر الأسوار من أهم التحصينات الحربية المهمة، سواء كان هذا على مستوى المدن أو العمائر فهي تعتبر خط دفاع الأول[43]، والسور عند العرب حائط المدينة، وهو أشرف الحيطان[44].

وقد اهتم الإنسان منذ القدم بإحاطة منشآته ومدنه بأسوار وهذا ما نجده عند الرومان والبيزنطيين، وهذا ما برع فيه أيضا الأغالبة في المغرب الأدنى في العصور الوسطى، ومن أهم الأسوار التي شيدت في عهد الأغالبة:

- سورسوسة*:

الذي شيد في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد، حيث يذكر ابن خلدون هذا السور قائلا: **" كان عادلا حازما...وبنى سور سوسة"**[45]، في حين يرى ابن الخطيب أن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم، هو الذي بنى سور سوسة سنة (245هـ/859م)[46]، ويؤكد هذا التاريخ النقش المسجل والمنقوش على السور القبلي من أسوار سوسة[47]، وهذا ما يؤكد لنا أن رأي ابن الخطيب هو الصحيح.

حسب البكري فيرى أن الأمير الأغلبي زيادة الله هو الذي بنى هذا السور من خلال قوله: **" ما أبالي ما قدمت عليه يوم القيامة، وفي صحفتي أربع حسنات ببنايتي المسجد الجامع بالقيروان وبنياني قنطرة الربيع وبنياني حصن مدينة سوسة، وتوليتي أحمد بن محرز قضاء إفريقية"**[48].

---

[43] - محمد عياش: المرجع السابق، ص 27.

[44] - ابن المنظور: المصدر السابق، ص 386.

*- **أنظر: ملحق رقم (6)، يمثل سورسوسة، ص 136.**

[45] - ابن خلدون: المصدر السابق، ج4، ص 259.

[46] - ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 25.

[47] - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص 453.

[48] - البكري: المصدر السابق، ص 119.

أما من ناحية صفة سور سوسة: فهو سور مبني من الحجر المصقول، ويعلوه جدار مشرف الذروة لحماية ممشي السور[49]، ويدعم الأسوار من الخارج أبراج ضخمة تتجاوز في ارتفاعها مستوى ممشى السور بنحو أربعة أمتار وفي الزاوية الجنوبية الغربية من أسوار سوسة، وهي أكثر مناطق ارتفاعا ينتصب برج مرتفع[50].

هو عبار عن برج مربع الشكل كالصومعة يعلوه برج أقل حجما ويوجد في الداخل أربع غرف تعلو الواحدة منها الأخرى، السفلى منها مسقوفة بقبوة نصف اسطوانية، والغرفة الثانية التي تعلوها تسقفها قبوة متعارضة، أما الثالثة فسقفها قبوة نصف اسطوانية، والغرفة الرابعة تتكون من أربع قبوات متعارضة تقوم على عقود مصلبة، ويبلغ ارتفاع هذا البرج ما يزيد على ثلاثين مترا[51].

أما ارتفاع هذا السور فيبلغ حوالي ثمانية أمتار، ويمكن الدخول إلى المدينة عبر ثمانية أبواب وبين هذه الأبواب الأبراج المربعة أو المثمنة وهي مأوى خاصة بالمجاهدين لحراسة المدينة[52].

- سورسفاقس*:

تعتبر سفاقس من أهم المدن الساحلية في إفريقية خلال العصر الأغلبي، والتي قال عنها اليعقوبي: **" سفاقس مدينة على ساحل البحر، يضرب البحر سورها "**[53]، وقد شاهد اليعقوبي هذا السور* في عهد الأمير إبراهيم بن أحمد، أقيم في عهد هذا الأمير من التراب واللبن[54]، ثم رمى فيها الحجارة، وقد ذكر ذلك ياقوت الحموي: **" سفاقس على ضفة البحروهي ذات سور وهو صخروآجر "**[55].

ومن ناحية الشكل فإن سور سفاقس يأخذ شكل المستطيل، ويدعمه أبراج مستديرة الرؤوس وبعضها مضلع [56].

وكان يلي هذه المدينة على الساحل مجموعة من الرباطات و المحارس، نذكر منها محرس بطوية وهو أشرفها، و محرس حبلة ومحرس أبي الغصن ومحرس مقدمان ومحرس اللوزة والريحانة، وفيها منار كبير الارتفاع يبلغ حوالي 160درجة[57].

---

[49] - فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص 91.

[50] - عبد العزيز سالم : المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص 453؛ فوزية محمد عبد الحميد: المرجع السابق، ص ص 91-92.

[51] - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص ص 453-454.

[52] - عبد العزيز الدولائي وآخرون: تونس أعلام ومعالم، دط، المعهد الوطني للتراث، تونس، 1997م، ص 201.

*- **سفاقس:** مدينة عتيقة بناها البربر على ساحل البحر المتوسط أيام كانوا يحاربون الرومان. و هي مدينة كبيرة محاطة أيضا بأسوار عالية متينة، كانت في القديم كثيرة السكان، أنظر: الحسن بن محمد الوزان: وصف إفريقيا، تر: محمد حاجي و محمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الاسلامي، 1983م، ص 87.

[53] - اليعقوبي: البلدان، ص 140.

***- أنظر ملحق رقم (7)، يمثل سورسفاقس، ص 137.**

[54] - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الإسلامي، ص 454.

[55] - الحموي: المصدر السابق، مج3، ص 223.

[56] - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 454.

[57] - البكري : المصدر السابق، ص 92.

المدن:

انجز الأغالبة مدنهم بناءا على اختيار جغرافي وعسكري مسبق، وهذا استنادا إلى صعوبة التضاريس المعقدة للمنطقة المستقرين فيها، وإلى الطابع الحربي الذي اتصفت به الإمارة، وقد حدد لنا القزويني الأسس والطرق المستند إليها عند إنشاء المدن فيقول: "**...ثم إن الملوك لما أرادوا بناء المدن... اختاروا أفضل ناحية في البلاد و أفضل مكان من الناحية، وأعلى منزل في المكان في السواحل و الجبال**"[58]، ومن أهم المدن التي بناها الأغالبة:

- **العباسية:**

كان الأغالبة في بداية حكمهم يقيمون داخل القيروان في قصر الإمارة القريب من الجامع ولكن رأى إبراهيم مؤسس الدولة تحويل مقره من القيروان إلى مكان بعيد من هرج الجند[59]، فرأى أن يبتعد عنها قليلا. ووقع اختياره على قطعة من الأرض حوالي ثلاثة أميال في الجنوب الشرقي من القيروان، وكانت لجماعة من بني طالوت فاشترها منهم[60]، وبعد أن تم البناء الذي انطلق في

نفس السنة الذي ولي فيها إبراهيم الأغلب سنة (184هـ/800م) حسب رواية البكري وابن الأثير[61]، أو في السنة التي تليها (185هـ/801م) كما يقول ابن عِذارِى، فنقل إليها السلاح والعُدد وسكن حوله عبيده وأهل ثقته من خدمه[62]، ولا شك أن ابن الأغلب تمعن في دروس سياسة الولاة السابقين، وأنه أخذ المصدر السابقة من اضطرابات القيروان، التي كانت تموج بأهلها وعسكرها[63].

غير أن شواهد نمية ورد عليها اسم العباسية، سكها ولاة إفريقية العباسيين، تحمل على الظن بأن هذه المدينة وقع تشييدها قبل قيام الإمارة الأغلبية[64].

أما الجند العسكري المعارض لإبن الأغلب فقد تمركز في المعسكرات في المدن بإفريقية، والتي تحولت إلى مركز معارضة السياسية للبيت الحاكم بالقيروان[65].

فأطلق ابن الأغلب على مدينته الجديدة اسم العباسية[66]، وهذا تيمنًا باسم الخلافة العباسية الحاكمة في المشرق ولتكون قرينة مدينة الهاشمية عاصمة الخلافة قبل بغداد[67]، وقد عرفت المدينة الجديدة لإبن الأغلب أيضا باسم القصر

---

[58] - زكرياء بن محمد القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، د.ط، دار صادر، بيروت، 1960م، ص 08.

[59] - حسب الله حاج أحمد: المرجع السابق، ص 169.

[60] - ابن عِذارِي: البيان، ج1، ص 92.

[61] - البكري: المصدر السابق، ص 109 ؛ ابن الأثير: المصدر السابق، مج5، ص 314.

[62] - ابن عِذارِى: المصدر السابق، ج1، ص 93.

[63] - سعد زغلول: المرجع السابق، ص ص31-32.

[64] - عبد الحميد فنينة: " حول تأسيس مدينة العباسية بإفريقية"، الملتقى الدولي الثاني حول القبيلة – المدينة- والمجال في العالم العربي الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2003م، ص 03.

[65] - حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 98.

[66] - ابن الأثير: الكامل، مج5، ص 314.

[67] - سعد زغلول: المرجع السابق، ص 32.

القديم[68]، وهذا بالنسبة لقصر رقادة الذي بناه إبراهيم بن أحمد سنة (264هـ/877م)[69] ، وعرف أيضا بالقصر الأبيض ربما لبياض لون جدرانه[70].

عرفت بهذا الاسم – القصر القديم – لأنها في الحالة الأولى قد بنيت في موضع قلعة قديمة كانت في أرض بني طالوت، وفي الحالة الثانية قد أطلقت عليها العباسية بعد أن قامت مدينة وقصور جديدة بجوارها[71].

يبدو أيضا أن سبب بناء ابن الأغلب لهذه المدينة، يرجع إلى أن سكان القيروان بما كانوا يتصفون به من تدين وتخلق، أبدوا سخطهم على الأمير لإقباله على الخمر وانغماسه في حياة اللهو واللذات[72]، وهذه الرواية مبالغ فيها نظرا ما يتصف به الأمير إبراهيم من علم وفقه.

في هذه المدينة استقبل الأمير ابن الأغلب رُسُل شرلمان* إليه سنة (185هـ/801م)، عندما قدموا إلى القيروان من أجل نقل رفات القديس سان سيبرين[73].

اتسعت العباسية، و أصبحت هذه المدينة كبيرة، وكان يوجد فيها خمسة أبواب، منها باب الرحمة قبلي وباب الحديد قبلي وباب غلبون شرقي وباب الريح شرقي وباب السعادة غربي يقابل المقبرة الكبيرة[74]. وقد أقيم في العباسية كثير من المنشآت من حمامات وفنادق وأسواق ومواجل[75].

يذكر البكري أيضا أنه كان داخل المدينة رحبة كبيرة واسعة، تعر بالميدان، ويجاور مدينة القصر بنية تعرف بالرصافة. و لما جاء إبراهيم إلى هذه المدينة وانتقل إليها خرب دار الإمارة التي كانت بالقيروان[76].

كذلك أقام الأمير الأغلبي أبو الغرانيق محمد بن أحمد في العباسية، وكان مبذرا ونزقا، يحب اقتناص الطير، وكان له برج في هذه المدينة يعرف بالساحلين يمارس فيه هوايته المفضلة[77]، وكان لمدينة القصر القديم جامع له صومعة مستديرة مبينة بالآجر والعُمَد سبع طبقات لم يبن أحكم منها ولا أحسن منها[78].

---

[68] - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 133؛ ابن عذاري: البيان، ج1، ص92.

[69] - ابن عِذارِي: المرجع السابق، ص 154.

[70] - اليعقوبي: البلدان، ص 347.

[71] - سعد زغلول: المرجع السابق، ص 32.

[72] - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، ص 455.

*- **شرلمان:** أو كرلوس الكبير، أحد ملوك فرنجة (فرنسا)، تولى الحكم من 786 إلى 814م، وكانت بينه وبين هارون الرشيد مواصلات ودادية ومهادنة، أنظر: ابن عذارِي: المصدر السابق، ص 210.

[73]- Marçais: op.cit, p26-27.

[74] - البكري: المصدر السابق، ص 109.

[75] - عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 459.

[76] - البكري: المصدر السابق، ص 109-110.

[77] - الحموي: المصدر السابق، ج4، ص 362.

[78] - البكري: المصدر السابق، ص 109؛ الحموي: المصدر السابق، ج4، ص362.

في رواية أخرى عن بناء العباسية، ينقل لنا البلاذري أن محمد بن الأغلب أحدث في سنة (239هـ/853م) مدينة بقرب تاهرت* سماها العباسية، فأخر بها أفلح بن عبد الوهاب* الاباضي وأضاف أنه كتب إلى الأموي صاحب الأندلس يعلمه ذلك تقربا إليه، فبعث إليه صاحب الأندلس حوالي 100ألف درهم[79]، و البلاذري معروف بأنه مؤرخ مشرقي، لم يصل أرض المغرب فمعلوماته التي يقدمها عن المنطقة غير دقيقة ومباشرة.

فالنسبة لظروف الأغالبة، فإذا كان بناؤها تم في سنة (227هـ/841م)[80]، فهذا يصادف ابتداء حكم محمد بن الأغلب، وليس من الممكن أن يبدأ التحرش بجيرانه الرستميين وهو لم يثبت حكمه بعد، ويكون الأمر على الاحتمال أن أبا العباس محمد، قد أدخل بعض الإصلاحات على عاصمة الأغالبة العباسية[81] .

ورد ذكر أول عباسية عند البلاذري بقوله عن عمر بن حفص أنه: **" بلغ أقصى بلاد البربر و ابتنى هناك مدينة سماها العباسية... وقد هدمت تلك المدينة التي ابتناها "**[82]، أما القلقشندي يذكر أن إبراهيم بن الأغلب قدم إفريقية منتصف (184هـ/800م) وابتنى مدينة العباسية بالقرب من القيروان[83]، إلا أن البلاذري ومن تأثر به، لم يحددوا موقع العباسية التي ابتناها

محمد بن الأغلب، ولم يتعرضوا للظروف التي سبقت بنائها، ولا دوافع إلى تهديمها من طرف أفلح بن عبد الوهاب ولا إلى النتائج التي ترتبت على هذه الحادثة، كما لم يذكروا عملا قام به محمد بن الأغلب كرد فعل لعمل أفلح عبد الوهاب[84].

يرى ابن تاويت[85] أن الهدف من بناء القصر القديم – العباسية – كان لتأخذ بمكان تاهرت وتشغل المكانة التي تحتلها، إلا أنه من الواضح، أنه لو كان أبو العباس يهدف إلى ما ذهب إليه، لكن هذا ينم عن وجود روح عدائية بين الطرفين، وإذا صح أن أبا العباس قد ابتنى مدينة فعلا، فلن تكون أكثر من حصن في منطقة الزاب باعتبارها اخر عمل بني الأغلب ولم يتجاوزها المسودة[86].

---

*- **تاهرت:** كان بناء مدينة تاهرت سنة 161هـ، من عزم الإباضية لجعلها الحصن المنيع لهم، فكانت بداية هذا المشروع بأن أرسلوا الرواد إلى الأرض ليرتادوا مكانا يكون صالحا لهم فكانت تاهرت دون غيرها، اتبع عبد الرحمان بن رستم ومن معه في تطهير الغابة (موضع تاهرت)، وازالتها نفس السبيل الذي اتبعه عقبة بن نافع من قبل تطهير الفيضة التي أقيمت عليها القيروان، أنظر: بحاز إبراهيم بكير: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والفكرية، ط2، جمعية تراثنا، القرارة، الجزائر، 1993م، ص 86.

*- **أفلح بن عبد الوهاب:** ثالث الأئمة الرستميين، وكان أكبر علماء زمانه، وكان شاعرا ودراسا لجميع العلوم، بويع في اليوم الذي مات فيه أبيه عبد الوهاب، وقد اشتهر بالعدل والشجاعة وقوة السداد واللين، فقد اتبع سياسة اضعاف التحالفات بين القبائل، أنظر: محمد بن موسى بابا عمي وإبراهيم بحاز: معجم أعلام الإباضية، مرا: محمد صالح ناصر، د.ط، ج2، جمعية التراث، الجزائر، 2008م، ص 284.

[79] - البلاذري : المصدر السابق، ص 328.

[80] - ابن خلدون : المصدر السابق، ج4، ص 429.

[81] - جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، د.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 91.

[82] - البلاذري: المصدر السابق، ص 329.

[83] - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشى،ج5، د.ط، دار الكتب الحديوية، القاهرة، 1915م، ص 120.

[84] - جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 90.

[85] - محمد ابن تاويت: " دولة الرستميين"، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1957م، ص119.

[86] - اليعقوبي: البلدان، ص 352؛ جودت عبد الكريم يوسف: المرجع السابق، ص 91.

لم يبق من آثار هذه المدينة (الأن) شيء، وقد آل مصير القصر القديم إلى الهدم و التخريب ولكن موقعه مازال موجود حتى اليوم، وقد أجريت على هذا المكان حفائر أثرية سنى 1923م أسفرت عن كشف بعض الغرف الصغيرة، كما اكتشف بعض القبوات والمخازن في باطن الأرض[87].

رقادة:

أمَا الحضارة الثانية التي بنها الأغالبة، هي مدينة رقادة وهي من القيروان على أربعة أميال[88]وهي مدينة كبيرة دورها 24040 ذراع، أكثر بلاد إفريقة بساتين وفواكه، وليس بإفريقية حسب صاحب كتاب الاستبصار أعدل هواء من رقادة ولا أرق نسيما، ولا أطيب تربة[89].

تم الشروع في بناء هذه المدينة من طرف الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد سنة (263هـ/876م)، وتم تأسيسها سنة 264هـ[90]، وهكذا أصبحت رقادة منذ ذلك التاريخ مقر وعاصمة أمراء بني الأغلب حتى سقوط إمارتهم على يد عبد الله الشيعي سنة (296هـ/908م).

سميت رقادة بهذا الاسم لأن الأمير إبراهيم بن أحمد أرِق، وشرد عنه النوم أيَاما، فعالجه إسحاق الذي ينسب إليه إطريفل إسحاق، فأمره بالخروج والمشي، فلما وصل إلى هذا الموضع ومكان البناء نام فسميت من يومئذ برقادة[91].

كما ذكر البكري في رواية أخرى نقلا عن محمد بن يوسف، أنَ تسمية رقادة بهذا الاسم لأنَ أبا الخطَاب عبد الأعلى* القائم بدعوة الاباضية بطرابلس لما نهض إلى القيروان لقتال ورفجومة وكانوا قد تغلبوا عليها مع عاصم بن جميل فالتقى بهم بموضع رقادة وهي إذ ذاك منية فقتلهم هناك قتلا ذريعا فسمَيت رقَادة لرُقاد جثهم بعضها فوق بعض[92].

أصبحت رقادة دارا ووطنا للأغالبة بعد انتقال إبراهيم بن أحمد من مدينة القصر القديم إليها وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا، وعمرت بالأسواق والحمامات والفنادق[93]، وكان من قصورها قصر بغداد، والمختار، والفتح، وقصر البحر، وقصر العروس، وقصر الصحن[94].

يقال أنَ لما انتهى الأمير إبراهيم بن أحمد من بناء رقادة، قام بمنع بيع النبيذ بمدينة القيروان وأباحه بمدينة رقادة بسب جنوده وعبيده[95]، وقد ردَ عليه بعض ظرفاء أهل القيروان في أبيات شعرية مستهزئين بالأمير الأغلبي، فقالوا:

---

[87]- Marçais: op.cit, p27.

[88] - مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، د.ط، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، د.س ص 15؛ البكري: المصدر السابق، ص 108.

[89] - مجهول: المصدر السابق، ص 15.

[90] - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير في العصر الاسلامي، ص 457.

[91] - البكري: المصدر السابق، ص 108؛ مجهول: المصدر السابق، ص 15، ابن الأبار: المصدر السابق، ج1،ص ص 172-173.

*- **أبا الخطاب عبد الأعلى:** هو عبد الأعلى بن السمح المعارفي الحميري اليمني هو زعيم ديني على المذهب الاباضي ولاه حملة العلم على أنفسهم وهو الذي استولى على طرابلس، ومات سنة 144هـ، أنظر: أبو زكرياء: المصدر السابق، ص 42.

[92] - البكري: المصدر السابق، ص 109.

[93] - البكري: المصدر نفسه، ص 108؛ عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص 458.

[94] - المرجع نفسه، ص 458.

[95] - مجهول: المصدر السابق، ص 15.

يا سيَـد الناس و ابْن سيَدهم و مـن إليْـه الـرِقاب مُنْقادة
ما حرَم الشَرب في مدينتـنا وهو حـلال بأرْض رقَـادة[96].

لما شيد الأمير إبراهيم الأصغر رقادة شيد فيها القصور والدور والصهاريج الضخمة لماء الشراب ولسقي الحدائق، ونصب في احدى عمارتها بيت الحكمة التي جلب إليها من بغداد ومن مصر علماء أجلاء من أطباء وفلكيين وعسكر وموسيقيين، وفتح أبواب مكتبتها إلى القصاد من كل البلاد، فكانت مبعثا جديدا قويا لنشر الثقافة العلمية في إفريقية، وقد اقتبل إبراهيم سفارات من ملوك الافرنج ومن قياصرة القسطنطينية وغيرها[97].

لما انتقل إبراهيم بن أحمد إلى رقادة، استاء الصقالبة من الأغالبة لخروج الحكم من القصر القديم إلى رقادة، وهنا قام الأمير بقتل هؤلاء العبيد والموالي في قصره برقادة[98].

لما وليَ الأمير الأغلبي زيادة الله الأخير على الإمارة، انتقل إلى رقادة وحفر بها صهريجا طوله حوالي خمسة ذراع وعرضه أربعمائة ذراع، وأجرى اليه ساقية وسماه (البحر) وبنى فيه قصرا سماه العروس على أربعة طبقة، انفق فيه حوالي مائتي ألف دينار واثنين وثلاثين ألف دينار[99]، الذي قال عنه الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي: **" رأيت ثلاثة أشياء بإفريقية لم أر مثلها بالمشرق منها هذا القصر"**[100]، وابتنى زيادة الله فيها سورا وهذا بسبب خوفه من أبي عبد الله الشيعي أن يأتي رقادة، ولم يكن على رقادة أي سور أيام إبراهيم بن أحمد وكان عليها خندق وأبواب فقط[101].

ولم تزل رقادة دار ملك بني الأغلب إلى أن هرب عنها الأمير زيادة الله من عبد الله الشيعي، وقد أخرج عدد كبير من العبيد البيض مع الأمير زيادة الله عندما فر إلى المشرق حاملين معهم الكثير من أمواله[102]، و قد سكنها عبيد الله المهدي، إلى أن انتقل إلى المهدية سنة (308هـ /920م) فدخلها الوهن و خربت[103].

مدن في المغرب الأوسط تحت نفوذ الأغالبة:

ولا ننسى أن بعض المناطق من الجزء الغربي من المغرب الأوسط كان تحت سيطرة الأغالبة، فكانت لها مدن تابعة لها، كانت عبارة عن حصون تتصدى من خلالها لهجومات الأعداء- الأدارسة والرستميين...إلخ-.

- إقليم الزاب:

وقد تزامن ذلك مع إرادة الأغالبة على تكثير البناء تماشيا مع رغبتهم في بسط سيطرتهم أكثر نحو المناطق الغربية للمغرب الأوسط[104]، ومن أهم الأقاليم التي توجد في المغرب الأوسط وكانت تابعة للسلطة الأغلبية، هو إقليم الزاب الذي لعب

---

[96] - البكري: المصدر السابق، ص 108.

[97]- حسن حسين عبد الوهاب: خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، د.س، ص 71.

[98]- الخزاعلة: المرجع السابق، ص 217.

[99]- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 72.

[100]- ابن الأبار: المصدر السابق، ج1، ص 176.

[101]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 157.

[102]- ابن عذارِى: المصدر السابق، ج1، ص 184؛ الطالبي: المرجع السابق، ص 744.

[103]- حسن عبد الوهاب: المرجع السابق، ص 73.

[104] - الطاهر طويل: المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الخامس الهجري، ط1، دار المتصدر، الجزائر، 2011م، ص 120.

دورا محوريا وخطيرا، فطبنة عاصمة الإقليم كانت في الكثير من المرات ينصب ولاتها أمراء بالقيروان، وفي الأحيان تتدخل وتحدث حرجا للسلطة بالقيروان، و الزاب أحيانا يفرز مؤسس الإمارة الأغلبية، ويكتسب هذا الإقليم صفة ثغرا لقوة عسكرية عتيدة ولها تاريخ كبير وممتدا في إفراز الممالك[105].

كان هارون الرشيد يوصي بهذا الإقليم، فحسب الرقيق القيرواني أنه عندما ولي الوالي روح بن حاتم على إفريقية، فقال روح: **" فنظرت في حاجاتي وخرجت إلى إفريقية، وخرج هارون يشيعني، ثم ودعني، ثم لحقني وصاح، يا روح؟ لا تنزل ولا ترجع. أنت مسافر و أنا مقيم ثم سايرني وقال: عليك بالزاب و املأه خيلا ورجالا"**[106]، ولأهميته فإن الخليفة هارون الرشيد جعل هذا الإقليم يتبع بغداد مباشرة، فلقد تعين عليه أن يقوم بدور نشيط ضد الأدارسة، تحتم فصله عن القيروان وإلحاقه بالخلافة مباشرة[107].

يذكر اليعقوبي إقليم الزاب فيقول عنها **" مدينة الزاب العظمى وهي في وسط الزاب وينزل بها الولاة"**[108]، ومن خلال هذا التعريف والوصف، حسب الأستاذ طويل فالزاب يشمل العديد من المدن، وتكون طبنة عاصمة هذا الإقليم التي يتخذها الولاة مقرا لهم[109].

لقد كانت الحصون التي استغلها الأغالبة في منطقة الزاب قد أوكلت لها مراقبة جبال الأوراس، وهي حصون التي شيدت منذ القدم، وأصبحت منافذ قوية، أي بالخصوص حصون باغية، وبلزمة وطبنة وتهودة، وهي التي كانت تشكل الحزم الواقي و الجدار الواقي للإمارة، ولم ترضخ في النهاية إلا لسيوف العلويين[110].

- مدينة طبنة:

كذلك تعتبر مدينة طبنة من أهم المدن التي كانت تابعة للأغالبة، التي كانت عبارة عن حصن في العصر الأغلبي، والتي شكلت خطا دفاعيا متقدما للقيروان للدفاع عنها والوقوف أمام التهديدات المحتملة من الغرب[111].

يصف لنا البكري هذه المدينة العريقة، فيقول: **" وهي مدينة كبيرة سورها اليوم من بناء المنصور أبي الدو انيق.... وسورها مبني بالطوب وبها قصور وأرباض..... يقال من بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلَبي المعروف بهار مرد، يسكنها العرب والعجم وبينهما الاختلاف والحرب..."**[112]، أما صاحب الاستبصار فيقول أنها: **" مدينة كبيرة قديمة عليها سور من طوب ولها حصن قديم عليه سور من صخر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل. ولها أرباض واسعة"**[113].

---

[105] - هشام جعيط: المرجع السابق، ص 122؛ الطاهر الطويل: المرجع السابق، ص 122.

[106] - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص136.

[107] - الطالبي: المرجع السابق، ص ص 117-118.

[108] - اليعقوبي: البلدان، ص 355.

[109] - الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 122.

[110] - محمد الطالبي: المرجع السابق، ص ص288- 289؛ الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 135.

[111] - الطاهر طويل: المرجع نفسه، ص 124.

[112] - البكري: المصدر السابق، ص 135.

[113] - مجهول: المصدر السابق، ص 172.

لمدينة طبنة أبواب عبارة عن تحصينات تحميها وتحمي المدن الأخرى، ومن أهمها باب الفتح الذي يوجد في الغرب، وباب خاقان الذي يوجد في الشرق مبني بالحجارة عليه باب حديد وهو سري، أما من الشمال نجد باب كتامة[114].

لقد كانت هذه التحصينات التي حظيت بها طبنة تدل لا محالة على سعي عمالها لاستتباب الأمن والاستقرار، كما كانت ضرورة ملحة من قبل القيروان[115]، وكان الغرض من هذه التحصينات يتمثل أن هذه المدينة بعدما أصبحت عاصمة إقليم الزاب، أصبحت تمثل حدا فاصلا بين تشكيلات سياسية كانت في نزاع حول الحكم و السيطرة على المنطقة، وأخذ عمر بن حفص يحصن هذه المدينة خاصة بعدما قام بتشكيل حلف كبير كان يضم فرق الخوارج ونحلهم التي اندلعت من كل ناحية، واتفقت على محاصرة عمر بن حفص في مدينة طبنة[116].

عندما ولِيَ الأغلب بن سالم على طبنة و الزاب ترك له ابن الأشعث حرية مراقبة هذه المنطقة، ومتابعة ما يدور فيها من كل شيء، وقد وجعل من مدينة طبنة النقطة الدفاعية الأولى في بلاد الزاب لمواجهة الأخطار[117]، وبقيت هذه المدينة المدافع الحصين حتى في عهد الأغالبة.

حسب الرقيق القيرواني لما اختط الوالي عمر بن حفص هذه المدينة سنة إحدى وخمسين(151هـ/768م)، أنزل ورفجومة هؤلاء بها، وهذا بما كانوا شيعا له وعظم غنائهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم وبنو يفرن[118].

أصبحت طبنة من المنشآت المعمارية التي تحمل صبغة عربية يمنية[119]، وهذا في عهد الولاة والأغالبة، واستفادت هذه المدينة كثيرا من سياسة الأغالبة التي اعتمدوها في بناء الحصون والقلاع والأربطة على كامل المجال الذي سيطروا عليه[120].

- مدينة بلزمة:

لعل أهم مدينة قد سكنها الجند المسلمون من قبيلة تميم، وخاصة الأغالبة هي مدينة بلزمة، هذا ما يؤكد قول ابن حوقل الذي يقول: **" إن بلزمة مدينة محدث للعرب وفيه بقاياهم إلى الآن"[121]**، التي تقع على الطريق ما بين القيروان إلى الزاب مرورا على باغية ثم طبنة، والتي تعتبر من أهم الحصون الرومانية القديمة بمنطقة الزاب، والتي أسست لمراقبة القبائل البربرية لمنطقة غرب الأوراس[122].

---

[114] - البكري: المصدر السابق، ص 135.

[115] - الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 128.

[116] - عبد العزيز فيلالي: المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس، د.ط، دار المعارف للطباعة و النشر، تونس، ص 90.

[117] - الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 125؛ ابن عذارِى: المصدر السابق، ج1، ص 75.

[118] - الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 105؛ ابن عذارِى: المصدر السابق، ج1، ص ص 75-76.

[119] - بوبة مجاني: أثر العرب اليمنية في تاريخ بلاد المغرب في القرون الثلاث الأولى للهجرة، د.ط، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، ص 174.

[120] - الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 130.

[121] - ابن حوقل: المصدر السابق، ص 93.

[122] - الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 133.

قد أشار البكري إلى هذه المدينة، الذي أطلقا عليها حصن ويحيط به مجموعة من القرى فيقول: **"بلزمة لمزاتة، حصن أولي وهو بساط من الأرض، كثير المزارع والقرى، وفي قراه حصون كثيرة"**[123].

فالحصون البيزنطية قد رممت من بينها حصن بلزمة واستخدمت من جديد، وواصلت القيام بدور الدفاع عن الإمارة الأغلبية، وكان يتولى حكم هذه المدن المحصنة قبائل قيسية من عصبية الدولة نفسها الحاكمة لبلاد إفريقية وهي الإمارة الأغلبية[124].

رغم أهمية هذا الحصن الذي اتخذه بني تميم ومن بعده قبيلة مزاتة بالنسبة للدولة الأغلبية، فإن المصادر التاريخية حسب الأستاذ الطاهر طويل لا تشير إلى هذا الحصن – بلزمة – في أثناء حملات القادة الفاتحين لبلاد المغرب الأوسط، إذ من المرجح حسبه أنه أستخدم كملجأ للروم الفارين من حملاتهم الناجحة في المنطقة، ولا يرد ذكر هذه المدينة إلى غاية ظهور الإمارة الأغلبية، التي كان يشغلها تأمين حدودها الغربية، إذ ستكون هذه المدينة أحد أهم وأقوى نقاط الدفاع عن الحدود الغربية بجانب مدينة طبنة[125].

بالنسبة لهذا الحصن – بلزمة -، فقد وصفه الإدريسي وصفا دقيقا فيقول: **" حصن لطيف وفي أهله وفي أهله عزة ومنعة ولها ربض وسوق وبها آبار طيبة وماؤها أيضا غدق، وهو في وسط فحص أفيح و بناؤه بالحجارة الكبار القديمة..."**[126].

قد تأثرت مدينة بلزمة وكذلك طبنة حسب ابن عذارِى بالسياسة التي انتهجها الأمير الأغلبي إبراهيم أخو أبي الغرانيق حيث فتك بأهل الزاب، فقتلهم وقتل أطفالهم، وحملوا على العجل إلى الحفر، فألقوا بها[127].

في عام (278هـ/891م)، يقوم إبراهيم بن أحمد أخو أبي الغرانيق بأكبر مجزرة في الحق الجند الذين كانوا في بلزمة، وكان ذلك أهم حدث يتسبب في إسقاط هذا الحصن الأغلبي، والذي سيكون له أثره في نجاح الدعوة الشيعية هناك[128]، وسبب هذه المجزرة حسب القاضي النعمان تتمثل في استحارة هارب من أهل باغية ببني مالك ببلزمة كان من قبل قد سجنه ورفض عامل بلزمة تسليمه للأغالبة[129]، وكان للأغالبة دورا كبيرا في إضعاف هذه المدينة وهذا نتيجة لسياسة الأمير إبراهيم بن أحمد [130].

يرى ابن عذارِى أن هذه المجزرة كانت من أسباب انقطاع دولة بني الأغلب، إذ كان أهل بلزمة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده، وكان أكثرهم من قيس، وكانوا يذلون كتامة، فلما قتلهم إبراهيم، استطالت كتامة، ووجدت السبيل مع الشيعي على بني الأغلب[131].

---

[123] - البكري: المصدر السابق، ص 135.

[124] - الطالبي: المرجع السابق، ص ص 144، 288.

[125]- الطاهر طويل: المصدر السابق، ص 134.

[126]- أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله الحسني الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ص 270.

[127]- ابن عذارِى: المصدر السابق، ج1، ص 119.

[128]- الطاهر طويل: المرجع السابق، ص 138.

[129]- القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 88.

[130]- الطاهر طويل: المرجع السابق، ص ص 137-138.

[131]- ابن عذارِى: المصدر السابق، ج1، ص 123.

فالتحصينات بمختلف أنواعها وأشكالها، حددت معالم الرئيسية لحدود والمعالم الطبيعية لحدود الإمارة الأغلبية، في ملك دام حوالي مئة واثنا عشر سنة، عرف من خلالها المغرب الأدنى بعواصمه وأمصاره المختلفة ازدهار له، إلى جانب الدور الحضاري والاقتصادي الذي لعبته المدن التابعة للأغالبة كالعباسية و رقادة، وكذلك الرباطات التي لعبت دورا كبيرا في الجانب الديني.

خلاصة البحث

في ختام هذا البحث، أظهرت الدراسة أن الاستحكامات العسكرية في المغرب الإسلامي، وخاصة الحصون والرباطات، لم تكن مجرد أبنية دفاعية صامتة، بل كانت أنظمة متكاملة تعكس الفكر الاستراتيجي للدول المتعاقبة وقدرتها على تأمين حدودها. وقد تبين أن الرباطات الساحلية، كنماذج سوسة والمنستير، لعبت دورًا مزدوجًا وحيويًا؛ فهي خط الدفاع الأول ضد الغزوات البحرية، وفي الوقت ذاته كانت مراكز إشعاع ديني وعلمي وثقافي، مما جعلها قلب المجتمعات الساحلية النابض.

كما كشفت الدراسة عن تطور ملحوظ في تقنيات البناء والتحصين، بدءًا من الأسوار المنيعة للمدن الكبرى كسفاقس، وصولًا إلى التصاميم الهندسية للحصون الداخلية كتاهرت، مما يدل على قدرة المهندسين المسلمين على تكييف العمارة الدفاعية مع طبيعة التهديدات والبيئة الجغرافية لكل منطقة. إن تنوع المنشآت بين حصون وأسوار ورباطات يؤكد وجود استراتيجية دفاعية شاملة ومتعددة المستويات.

وبشكل عام، يمكن القول إن هذه المنشآت الدفاعية كانت ركيزة أساسية في تحقيق الأمن والاستقرار، اللذين كانا شرطين ضروريين للازدهار الاقتصادي والعلمي في المنطقة. فهي بذلك تمثل شاهدًا ماديًا على التفاعل الخلاق بين الحاجة العسكرية، والإبداع المعماري، والعمق الحضاري للمغرب الإسلامي في العصر الوسيط